

شرح قصيدة ريم على القاع

تعدُّ هذه القصيدة من أشهر قصائد أمير الشعراء أحمد شوقي، حيث يقول في مطلعها الشهير: ريمٌ على القاع بين العلمِ وأحلِّ سفكِ دمي في الأشهرِ الحُرْمِ، حيث نظمها الشاعر في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتسمى القصيدة نهج البردة لأنَّ الشاعر صاغها على غرار قصيدة البردة للبوصيري والتي مطلعها: أمنٌ تذكرُ جيرانَ بني سلمٍ مزجتْ دمعاً جرى من مقلَّةِ بدمٍ، فجاءت قصيدة شوقي على نفس البحر والقافية وبغفس الموضوع، وقد نظمت القصيدة على البحر البسيط وقافية الميم المكسورة، وهي أطول قصيدة للشاعر تتألف من 190 بيتاً، وفيما يأتي شرح القَصيدة:

- ريمٌ على القاع بين العلمِ وأحلِّ سفكِ دمي في الأشهرِ الحُرْمِ
رَمَى القِضَاءُ بَعَيْنِي جُودِرَ أَسَدًا
يا ساكِنَ القاعِ أدرك ساكِنَ الأَجْمِ
لَمَّا رَنَا حَدَّثْتَنِي النَفْسُ قَائِلَةً
يا وَيْحَ جَنبِكَ بالسهمِ المُصِيبِ رُمِي

يبدأ الشاعر قصيدته على غرار القصائد العربية القديمة والتغزل بالحببية حيث يشبهه محبوبته بالغزال فيقول: إنَّ المحبوبة الحسنة التي تشبهه الريم في جمالها وهي تقف في الوادي بين منطقتي البان والعلم، لقد أحلت تلك المحبوبة دمي في الهوى والغرام رغم أننا في الأشهر الحرم التي حرم الله تعالى فيها القتال، وذلك من باب المجاز، فقد شاءت الأقدار أن يرمى ذلك الظبي الصغير الرقيق بعينه بأسد كبير، فإنا من تسكن القاع يا أيتها المحبوبة أنفذي ساكن الشجر الكثيف فوق الجبل، وعندما نظر إليَّ بعينه الساحرتين قلت لنفسي: يا لحظك التعيس فقد رميت من تلك الحسنة بسهام صائبة قتلتك حباً وهوى.

- يا لايمي في هَوَاهُ والهوى قَدْرٌ
لَوْ شِئْتُكَ لَمْ تَعْدِلْ وَلَمْ تُنْمِ
لَقَدْ أُنْتُكَ أَدْنَى غَيْرِ وَاغِيَّةٍ
وَرُبُّ مُنْتَصِبٍ وَالْقَلْبُ فِي صَمَمٍ
يا ناعِسِ الطرفِ لا دُقْتُ الهوى أَيْدًا
أَسْهَرْتُ مُضْنَاكَ فِي حِفْظِ الهوى قَتْمِ

يا من تلوموني في هوى تلك الحسنة الجميلة، إنَّ الهوى من الأمور التي قدرها الله تعالى على الناس، ولو وقعت أنت في الحب والغرام لما لمنتني ولما عدلتني في حبه، ولكنني رغم ذلك لا أستمع إلى ذلك اللوم، فقد أوهمتني أنني أسمع ولكنني لا أستمع إليك، وقد يكون الشخص يظهر الإنبات ولكن قلبه غير واع وفي مكان آخر في صمم عما يجري حوله، ثم يوجه الخطاب إلى الحبيبة فيقول لها: يا ذات الطرف الجميل الساحر والعذب الناعس لا أذاقك الله تعالى الهوى والحب وعذاباته، فقد أجبرت من وقع في حبك على السهر والتعب وقضاء ليالي العذاب فنامي هانئة مطمئنة يا حبيبتي.

- لَزِمْتُ بَابَ أميرِ الأنبياءِ وَمَنْ
يُوسِكُ بِمِفْتَاحِ بابِ اللهِ يَغْتَنِمِ
فَكُلُّ فَضْلٍ وَإِحْسَانٍ وَعَارِفَةٍ
مَا بَيْنَ مُسْتَلِمٍ مِنْهُ وَمُلْتَزِمِ

بعد ذلك يتوجه الشاعر لمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول له: لقد أتيتك يا رسول الله يا إمام الأنبياء وخاتم النبيين والمرسلين ولزمت بابك تقرباً إليك وحباً لك ورجاء شفاعتك، ومن يتمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يغنم مغنم كثيرة من الله تعالى، وكل فضل أو علم ومعرفة أو فضيلة هي منه وعن طريقة عليه الصلاة والسلام.

- مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ الباري وَرَحْمَتُهُ
وَيُغِيَةُ اللهِ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْ نَسَمِ
وَصَاحِبُ الحوضِ يَوْمَ الرُّسُلِ سَائِلُهُ
مَتَى الوُرُودُ وَجَبْرِيلُ الأَمِينُ ظَمِي

إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خير خلق الله تعالى وأفضل الناس من عهد آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة، هو رحمة الله تعالى التي أرسها لعباده لإخراجهم من الظلمات إلى النور، وهو من وقع اختيار الله تعالى عليه ليكون أعظم الأنبياء من بين الخلق، وهو أيضاً صاحب الحوض يوم القيامة، ويوم يقف جميع الأنبياء والمرسلين سائلين عن موعد الورود إلى الحوض، حتى أن جبريل عليه السلام يقف عطشاً، بينما النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الحوض والأمين عليه.

- يا جاهِلِينَ على الهادي وَدَعَوِيهِ
هَلْ تَجْهَلُونَ مَكَانَ الصادِقِ العَلَمِ
لَقَبْتُمُوهُ أَمِينَ القومِ فِي صَغَرِ
وَمَا الأَمِينُ على قولِ بِمَنْتَهُمِ

يا أيها الجاهلون الذي جهلتم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجاهلتم دعوته، هل جهلتم مكان ذلك العلم الذي غطت رايته العظيمة بقاع الأرض، لقد أطلقتم عليه لقب الصادق الأمين عندما كان صغيراً وقبل أن تأتيه النبوة، ولكن عندما جاءكم بالرسالة الصادقة اتهمتموه بالكذب والجنون وغير ذلك، ولكن الأمين لا يكون منهما في حال من الأحوال.

- فاقَ البُؤرَ وفاقَ الأنبياءَ فكم
بِالخُلُقِ والخُلُقِ مِن حُسْنِ وَمِن عَظَمِ
جاءَ النَّبِيُّونَ بِالآيَاتِ فَأَبْصَرَمَت
وَجِنَّتْنَا بِحَكِيمٍ غَيْرِ مُنْصَرَمِ

لقد فاق رسول الله صلى الله عليه وسلم البؤر في نورها وضيائها وجمالها، كما كان متفوقاً على الأنبياء والمرسلين بالخلق وكان أجمل الخلق وأحسنهم، وكان أفضلهم وأعظمهم في الخلق، فقد عظمه الله تعالى ورفعته فوق جميع الأنبياء والمرسلين، وقد جاء الأنبياء كلهم برسالات عظيمة وآيات معجزة ولكنها ذهبت وزالت منذ زمن قديم، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم جاءنا بالقرآن الكريم وآياته التي لا تنتهي ولا تزول.

- عَلِمْتُهُمْ كُلَّ شَيْءٍ يَجْهَلُونَ بِهِ
حَتَّى الْقِتَالِ وَمَا فِيهِ مِنَ الذِّمِّ
دَعَوْتُهُمْ لِجِهَادٍ فِيهِ سُوْدُدُهُمْ
وَإِلَّا يَدْمَعُ مِنَ الْإِشْفَاقِ مُنْسَجِمِ

وقد علمت العرب في ذلك الوقت كل شيء كانوا يجهلونه، حتى تعلموا القتال وكل ما فيه من أحكام وقوانين وضوابط، وقد دعوت العرب تحت راية الإسلام إلى الجهاد في سبيل الله تعالى ليحققوا لأنفسهم مجداً وسودداً، فالحرب هي الأساس الذي قامت عليه الحضارات ونشرت الدعوة السامية وانتظمت الأمم.

- يَا رَبِّ صَلِّ وَسَلِّمْ مَا أَرَدْتَ عَلَى
نَزِيلِ عَرْشِكَ خَيْرِ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ
مُحِي اللَّيَالِي صَلَاةً لَا يَقْطَعُهَا
إِلَّا بِدَمْعٍ مِنَ الْإِشْفَاقِ مُنْسَجِمِ

ثم يدعوا الله تعالى ويصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: يا رب أنزل بركاتك وارفع درجات هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، الذي سوف يكون نزيل عرشك يوم القيامة وهو أفضل الأنبياء والذي قدمته عليهم جميعاً، وهو الذي كان يحيى الليالي الطويلة بالصلاة والقيام حباً من الله تعالى وخشية منه، ولم يكن يقطع القيام والصلاة في تلك الليالي إلا بالبكاء وهدر الدموع إشفاقاً وخشية من الله تعالى.

- قَالِطَفٌ لِأَجْلِ رَسُولِ الْعَالَمِينَ بِنَا
وَلَا تَرُدْ قَوْمَهُ حَسَفًا وَلَا تُسِيمِ
يَا رَبِّ أَحْسَنْتَ بَدَأَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ
فَقَتِّمِ الْفَضْلَ وَإِمْنَحْ حُسْنَ مُحِئْتِمِ

ويا رب تلطف بعبادك المسلمين في كل مكان، ومن أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم الطف بنا ولا تزيد ضعنا وخوفنا ولا تُدَيِّقْنَا سِوَةَ الْعَذَابِ، ونسألك أن ترحمنا وتزيل عنا الشدائد والمصاعب، وكما جعلت بداية المسلمين بداية حسنة مشرفة عاشوا خلالها مجداً وعزاً وقوة فاختتم لهم أيامهم وسنواتهم بفضل كبير واجعل خاتمتهم حسنة أبد الدهر.

الصور الفنية في قصيدة ريم على القاع

تحتوي هذه القصيدة على كثير من الصور الفنية والبلاغية المتميزة والتي تبيئت في الشعر موسيقى جميلة وألوان رائعة من تزيين الكلام، إذ يحرص الشاعر من خلال تلك الأساليب على تقريب المعنى من الناس وإيصاله إلى القراء بطرق فنية مختلفة وغير مباشرة، وفيما يأتي سوف يتم إدراج أهم الصور الفنية فيها:

- أسلوب الكناية: ورد أسلوب الكناية كثيراً في قول الشاعر: لَقَدْ أَنْتَلَيْتُكَ أُنْدًا غَيْرَ وَاعِيَةٍ، كَتَى الشاعر بهذه الجملة عن أنه لا يستمع إلى أقوال اللانمين ولا يلقي لها بالاً.
- استعارة تصريحية: وردت الاستعارة التصريحية في القصيدة بقوله: رِيْمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلْمِ، فقد شبه الشاعر محبوبته بالغزال وهو الريم نفسه، ولكنه حذف المشبه وهو الحبيبة، وذكر المشبه به وهو الريم مصرحاً عنه.
- أسلوب الجناس: ورد أسلوب جناس ناقص في القصيدة بقوله: بِالْخُلُقِ وَالْخُلُقِ مِن حُسْنِ وَمِن عَظَمِ، ورد الجناس في كلمتي الخلق والخلق، وهو جناس تام لتشابه الكلمتين بنفس الحروف تماماً واختلافهما في المعنى.

معاني المفردات الصعبة في قصيدة ريم على القاع

توجد بعض الكلمات التي قد تكون صعبة الفهم بالنسبة لكثير من القراء في قصائد الشعراء سواء في القصائد القديمة أو الحديثة، وقد تكون من الكلمات التي لا يجري استخدامها في الحياة العادية ولذلك من الضروري البحث في المعاجم للتعرف على المعاني الدقيقة لها، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شرح أهم المفردات والألفاظ الصعبة في القصيدة:

المفردة	شرح المفردة
القاع	ما انخفض من الأرض بين مرتفعين
جوذر	ابن الطيبي
الأجم	الكثيف من الأشجار
شفك	رقاً وضعف حتى صار يرى ما خلفه
تعذل	تلوم وتكثر اللوم
نسم	المواشي من الإبل والغنم والبقر
انصرمت	ذهبت واختفت
الذمم	العهود والمواثيق
سؤدد	مجد وقوة وعظمة
أس	الأساس والركيزة
الإشفاق	الخوف والضعف
خسف	غارت واختفت بما عليها